ومن المحتمل أن يكون قد خرج إليها مختاراً، طمعاً في نشر دعوته في زاوية من زوايا بلاد الشام منقطعة عن العاصمة، وبعيدة عن الرقابة، ومن المحتمل أن يكون قد خرج إليها تسكينا لغيظ معاوية من جهة، واستفراصاً لنشر دعوته من جهة أخرى، ولكن لاطريق لنا من الوجهة التاريخية إلى الجزم بشيء من هذه المحتملات، وعلى كل حال، فقد نجح أبو ذر، فإن جبل عامل لايزال يحمل عقيدته ويحتضنها ويحامي عنها إلى يومنا هذا[٢].

وقد ظهر من جميع ماقدمناه، أن التشيع بكل معانيه كان موجوداً في عهد عثمان، وأنه لم يولد بعد مقتله، كما يقوله أكثر المستشرقين، وجمع من خصوم الشيعة والتشيع، وجمهور ممن يقلد المستشرقين ويعتقد بآرائهم، ولا ريب أن مؤرخي المسلمين هم اعرف بتاريخ الإسلام وبتاريخ فرقه من الغرباء عن الإسلام والمسلمين.

وظهر أيضاً أن غضبة عثمان ومعاوية وأنصارهما على أبي ذر، لم تكن لمجرد ابداء الملاحظات والمحاسبات، بل لما كان يهدف إليه أبو ذر... فإنه كان يهدف إلى تحويل مجرى الخلافة وارجاعها لأهلها.

ومن الغريب بقاء التشيع منذ ذلك العهد إلى اليوم في بلاد عاملة، وفي الشام نفسها مع مطاردة الحكام للشيعة ومناوأتهم للتشيع... ومن الغريب أيضاً أن يعيش التشيع في دمشق نفسها في ثلاث مناطق كلها شيعية وأن يبقى من ذلك العهد إلى هذه الساعة، وتلك المناطق هي: الخراب والجورة والصالحية، وبعض القرى المجاورة لدمشق.

انتشار التشيع في سورية

في القرن الثالث إلى السادس للهجرة

● السيد محسن الأمين[٣]

لقد انتشر التشيع في بلاد الشام عموماً في غير جبل عامل انتشاراً عظيماً ولاسيما في عصر البويهيين وبني حمدان والفاطميين وذلك في أواخر القرن الثالث، وقد كانت في ذلك العصر ملوك الإسلام كلها من الشيعة: ففي العراق وفارس بنو بويه، وفي حلب والشام والجزيرة بنو حمدان، وفي مصر والمغرب الخلفاء الفاطميون. وكان الغالب على أهل سورية في ذلك العصر إلى القرن السادس بل والثامن هو التشيع فإن أهل حلب كانوا شيعة.

في تاريخ الحكماء في ترجمة المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان النصراني أنه كتب إلى الرئيس هلال بن المحسن بن إبراهيم بعد خروجه من بغداد إلى حلب بصفة ما لقي في

(٢) الشيخ محمد تقي القفيه: جبل عامل في التاريخ ٣٤ ومابعدها

(٣) فيما كتبه السيد الأمين في خطط جبل عامل ٨٦ ومابعدها.

سفرته فقال: إنه خرج من بغداد مستهل شهر رمضان سنة ٤٤٠ إلى أن قال عند ذكر حلب والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية (انتهى) فدل على أن أهل حلب في ذلك الحين كانوا أمامية.

واستمر التشيع في حلب وما والاها بعد بني حمدان زماناً طويلاً فمن ملكها بعد الحمدانيين بنو مرداس والظاهر أنهم كانوا شيعة، قال ابن الاثير في حوادث سنة ٤٦٣ في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان لأنه رأى إقبال دولة السلطان وقوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي وقت لاينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد -شعار العباسيين- وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حُصُر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس، وأرسل الخليفة الخلع إلى محمود مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزيني فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس.

وسار السلطان ألب أرسلان إلى حلب فقال محمود للنقيب أسألك الخروج إلى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده فخرج وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع وخطب فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي علي خير العمل ثم خرج إليه ليلاً مع والدته فقبله «انتهى» ونقل صاحب مجالس المؤمنين عن ابن كثير الشامي أنه في سنة ٥٠٧ لما فرغ الملك صلاح الدين ابن أيوب من مهم ولاية مصر توجه إلى أخذ بلاد الشام وجاء منها إلى حلب ونزل بظاهرها فاضطرب والي حلب من ذلك وطلب أهلها إلى ميدان باب العراق وتضرع إليهم وبكى وحضهم على صلاح الدين فعاهده جميعهم على ذلك وشرط عليه الروافض إعادة حي على خير العمل في الأذان وإن يكون لهم جامع الجانب الشرقي وهو الجامع الأعظم وأن ينادى بأسماء ائمتهم أمام الجنائز -مما دل على أن هذا كان معروفاً عندهم وهو من باب التبرك بأسمائهم الشريفة وليس فيه نص خاص- وإن يكبروا على الجنائز خمساً وأن يفوض أمر عقودهم وأنكحتهم إلى الشريف ابن زهرة الذي كان مقتدي شيعة حلب. فأعطاهم ذلك (انتهى).

واستمر أهل حلب على التشيع زماناً طويلاً وكان فيهم العلماء والفقهاء كأبي الصلاح الحلبي وبني زهرة وآل أبي جرادة وغيرهم، ومن المعروف عن علماء حلب أنهم كانوا يوجبون الاجتهاد عيناً لاكفاية.

والمشهور على الألسن وإن كنا لم نره في كتاب ونحن بريئون من عهدته أن الشيعة في حلب قتلوا قتلاً عاماً في المسجد الجامع يوم الجمعة بحيلة دبرها عليهم حاكم البلد فأظهر لهم أنه منهم فاطمأنوا لقوله ثم أنه جمعهم وقال لهم أريد أن أنعم عليكم يوم الجمعة القادم في المسجد وأريد أن تجعلوا لكل منكم علامة يعرف بها فليجعل الحناء على حنصره ليعرف فينعم عليه فاغتروا بذلك وفعلوا ما أمرهم به فلما كان يوم الجمعة واعد جنده وأعوانه أن يهجموا عليهم بالسلاح في المسجد ويقتلوا كل من على خنصره أثر الحناء فقتلوا قتلاً عاماً ولم يسلم إلا من

كان خارج المسجد أو هرب منه وتشتتوا في البلاد وخلت حلب من الشيعة من ذلك اليوم إلى يومنا هذا. وممن هرب من حلب إلى دمشق بعد تلك الوقعة عائلة آل اللحام وآل الواسطي وغيرهم من سكنة دمشق وبقي منهم بقايا إلى اليوم يعملون أعمال من تسموا بأهل السنة ومع ذلك يُعَيَّرون بالتشيع.

وقد جرى على الشيعة في المغرب أيام المعز بن باديس بأفريقية من القتل العام نظير ماجرى على أهل حلب فقتلوا في جميع أفريقية وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب وأغراهم وحرضهم حاكم البلد لأنه بلغه أن ابن باديس يريد عزله فأراد إفساد البلد. ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٠٧ وذكره غيره.

وأهل الفوعة في بلاد حلب قديمو التشيع وهم شيعة إلى اليوم ويوجد اليوم أيضاً من الشيعة في بلاد حلب أهل كفريا ونبّل والنفاولة وبعض أهل معرة مصرين.

ويوجد بحلب مشهد ينسب إلى الحسين عليه السلام وله أوقاف جمة يصرف ريعها على الاطعام يوم عاشوراء وهي باقية إلى الآن لكن أهل حلب يصرفونه على الأطعام في ذلك بعنوان أنه يوم عيد لايوم حزن والظاهر أن هذه الأوقاف من الشيعة الذين كانوا بحلب، أما المشهد فلا نعلم أصله وربما كان من زمن سيف الدولة.

وكان الغالب على أهل دمشق وما والاها في أوائل القرن السابع هو التشيع فقد قال ابن جبير في رحلته عند وصف دمشق أن الشيعة في هذه البلاد أكثر من أهل السنة وكانت رحلته في أوائل القرن السابع.

وقد كان أهل طرابلس الشام وما والاها كلهم شيعة وتولى القضاء فيها القاضي عبد العزيز ابن البراج أحد علماء الشيعة في القرن الخامس ثلاثين سنة وكان من تلاميذ السيد المرتضى وبنو عمار امراؤها كانوا شيعة.

والمسائل الصيداوية للسيد المرتضى تدل على كثرة الشيعة في صيدا وكان فيها مقر الكراجكي محمد بن علي بن عثمان نزيل الرملة البيضاء صاحب كتاب كنز الفوائد وكان في القرن الخامس وكلامه في ذلك الكتاب يدل على أن أهل رملة فلسطين التي بنواحي اللد كانوا شيعة واحتمال أنها البلد التي بين صيدا وبيروت يدفعه أن هذه الرميلة بالتصغير لا الرملة وقيل أن الرملة التي يحكى عنها الكراجكي هي بمصر والله أعلم. وابن الأثير يقول في حوادث سنة ٥١٩ أن عامة دمشق يغلب عليهم مذهب أهل السنة فدل على كثرة التشيع فيها لكن الغالب غيره.

وكان التشيع فاشياً في حمص وحماه ونواحيها وديك الجن الشاعر المشهور كان من أهل حمص وكان شيعياً ولايزال في مدينة حمص بعض الشيعة.

وإن صح أن سديد الدين محمود الحمصي عالم الإمامية في الري المعاصر لفخر الدين الرازي وشيخ فخر الدين منسوب إلى حمص المدينة المشهورة لا إلى الحمص الحب المشهور كان ذلك من أدلة وجود التشيع وانتشاره في حمص في المائة السابعة.

ويوجد إلى الآن في وعر حمص قرى كثيرة أهلها شيعة أمامية لهم أخلاق عربية جميلة وميل إلى الدين ومحافظة على شعائر الإسلام مثل الغور والدلبوز وأم العمد وتل الأغر والسماقيات وزفتة وغيرها وقد هاجر كثير من أهلها إلى جبل عامل وغيره في الأزمنة السابقة بسبب توالي الظلم والتعصبات المذهبية وجهل أهلها أو تسلط البكوات والأفندية من متنفذي حمص، فقد كانوا يخافون من الخدمة العسكرية فيهاجرون من بلادهم لذلك وسألتهم مرة لم لا تغرسون الاشجار المثمرة في بلادكم فقالوا نخاف إذا غرسناها أن لاتطيب أنفسنا بهجر أوطاننا، وطلبت الحكومة مرة الأموال الأميرية من قرية فأجابوا أنها خراب وكانت مسكونة فأتت بجماعة من مهاجري التركمان وأنزلتهم في بيوتهم وأخرجت أهلها منها قهراً وملكتها التركمان، وهم وإن كانوا مخطئين فيما فعلوا لكن ذنبهم لايستوجب هذا العقاب وقرية الدلبوز سلمها أهلها غنيمة باردة لآل الدروبي في حمص ليحموهم من الظلم، وأهل الغور تملك بعض أفندية حمص قسماً من قريتهم الخصبة الواسعة بسبب جهلهم وكانوا يتركون قراهم المملوكة لهم بسندات طابور ويختارون الزراعة في قرى أملاك الدولة ليحتموا بها من الظلم الذي ليس له حد، وكنا يوماً نسير في العربة من حمص إلى الغور فلاحت لنا قرية على جبل أبيض في أثناء الطريق فسألنا الحوذي عنها فقال اسمها البويضة وأهلها شيعة، ولا عهد لنا بقرية هناك بهذا الاسم أهلها شيعة فاستقصينا منه الخبر فلم يشأ بعد ذلك أن يخبرنا بشيء كأنه ندم على ما قال ثم سألنا عنها غيره فأخبرنا أن أصل أهلها شيعة حداهم على ترك مذهبهم الضغط والمعاشرة وهم الذين على سفح الجبل دون القنة وإذا وقع بين أهل القنة والسفح خصام يعير الأولون الثانيين بمذهبهم.

كما أنه يوجد ببلاد حماه عدة قرى للشيعة وكان أهمها قرية الشيخ علي كيسون الواقعة على أربعة فراسخ من حماه وهي من أخصب بلاد الله وأوسعها جلا أهلها عنها وتشتتوا في البلاد بسبب جهلهم الذي أدى إلى التجاء بعضهم إلى بعض متنفذي حماه وبيعه قسماً من أراضيه انتقاماً من أهل بلده فأحضر الأفندي قوماً باسم جماعة أحياء وجماعة قد ماتوا من قبل وأخذ سندات طابو بقسم من القرية ولما رفع أهلها شكواهم إلى الحكومة أقيمت عليهم الدعاوى الزورية التي أودعتهم السجون ثم أخرجوا من قريتهم قهراً واحتلها الحمويون المتنفذون وذلك في عهد الاتراك.

هذا ولكن تعاقب الدول الغاشمة وظلمها والتعصبات المذهبية والاضطهادات أوجبت قلة عدد الشيعة في سورية عما كانت عليه قبل فخلت حلب من الشيعة بعدما كان كل أهلها أو جلها شيعة كما مر وقل عدد الشيعة في غيرها، وثبت أهل جبل عامل على تشيعهم القرون والأحقاب مع ماتوالي عليهم من الفتن والظلم والاضطهاد في كثير من الإعصار.